نص الاستاذ الناقد سهيل سامي نادر بمناسبة إقامة معرضي الشخصي في مركز كاتارا للفنون في الدوحة

رفع الستارة !

ثمة عمل في هذه المجموعة الفنية أرى أن الفنان أطلق فيه قراءة بصرية مثيرة لمعنى التجربة الصوفية: تهاويل من أرابسك يغطي سطح اللوحة ، يبدو أنها شرفات تفضي إلى شرفات أصغر منها ، لتنتهي بما يشبه المسرح تقف عليه فتاة صغيرة ذات رداء أحمر ومريول مدرسي أبيض ، يأخذها الفضول إلى الذهاب أبعد ، خلف الستارة التي ترفعها بيديها اليسرى بشيء من الوجل ، فلا يظهر هناك غير فجوة سوداء ! .

أيا كانت مقاصد الفنان ، وسواء أخذ بطلته الشجاعة من رواية أو تخيّلها في ضرب من تحليل عاطفي ومعرفي ، فإنها مثلت روح الفضول ، والرغبة في الذهاب أبعد في مغامرتها . لقد اجتازت تهاويل الآرابسك المحيّرة التي تدير الرأس ، حيث الزخرف والسرّ يفضيان إلى زخرف وسرّ، لتصل إلى مكان مخبوء خلف ستارة. ماذا تفعل ستارة في هذا الممر اللغزي؟ إنها تضاعف اللغز ، وتهيّج الفضول المعرفي . سوف يكون عليها أن تمعن النظر، فلربما يوجد سلّم نازل لا يظهر هناك ، وعليها أن تتأكد من موقع قدميها.

إن رفع الستارة ، رفع الحجب ، هو البرنامج الروحي للصوفي في الطريق الى الله !

أظنني قدمت تأويلاً روائياً .. ولم لا؟ . الفنان في هذا العمل يقودنا إلى شبه رواية قد تصلح أن نكون نحن أبطالها . رواية صامتة عن عبورنا ممرات وفضاءات تثير العجب ، لكن ثقباً ما سوف يأسر نظرنا ، ولسوف ننزل على سلالم خيالية إلى ظلمة عقولنا التي تخطم فيها بين الحين والحين أشكال مضيئة ، وأشكال متراكبة يستعصى علينا فصلها ، وثرثرات لغات حية وميتة ، وكائنات لا اسم لها بعد.

مثّل المعرض السابق لعمار داود قراءة لأفكار الحسين بن منصور الحلاج ، المصلوب على شاطئ دجلة في الكرخ في القرن الرابع الهجري. وفي التجربة

الحالية نجد تمثيلاً لبعدها الاختباري ، هذا الذي يدعى بـحركة الكشف ، وهي نفس الحركة التي كتب فيها الحلاج نصوصه التأملية اللغزية ، وسيصنع منها الفنان حركة موسيقية زخرفية آسرة .

يواصل عمار قراءته السابقة عن طريق جمع أشكال متنوعة ومبتكرة ، وإطلاق طاقتها التعبيرية والتصميمية ، مع توليد بثّ جمالي لوني زاخر. ليس هذا بغريب عن سيرته الفنية التي لا تتخلى عن مكاسب سابقة ، بل تستدعيها ، وتطوّرها .

وأرى أنه في هذا المعرض يواصل قراءة الفكر الصوفي نفسه ، بإنتاج صور باذخة ناتجة عن دمج فن المنمنمات والصوّر الفارسية - الهندية التقليدية ، والآرابسك ، ونزعة تصميمية في إشغال كامل المساحة التصويرية. تختفي صورة الصوفي الفقير إلا إذا أسقطت بفضاء شبه واقعي ، عندها ستظهر ضامرة إزاء مساحة تلتهمها . بيد إن لغة الصوفي الغنية هي ما سوف تظهر في رسوم الفنان متحولة إلى جواهر منضّدة ، وترصيعات مشعّة ، وفضاءات شاعرية متداخلة !

يوسع الفنان المفردات الشكلية ويربطها ربطاً محكماً بفضاء تعبيري تأملي .

ولسوف نجد عدداً من أنماط هذا الربط :

- فضاء يوحي بأنه طبيعي ، أو هكذا يبدو ، مساحة مفرغة تسقط عليها جسديات وحركات غامضة. تسهم في هذه الأعمال الروح الكرافيكية للفنان بالاعتماد على التحديد الخارجي للأشكال أو قيام الخطوط المستقلة بالربط ما بينها .

- فضاءات فنية جمالية أسقط فيها الفنان أشكالاً واستعارات من البيئة الأوروبية ولعل الفنان استخدم في بعضها توزيعات تصميمية للأشكال مستعارة من لوحات أوروبية بنوع من التناص البصري ، مؤكداً على اعتباطية مقصودة في علاقات الأشكال مع بعضها البعض ، وتآكل الأشكال في بعضها والإبقاء على ما هو دال وجوهري منها.

- على عكس الفضاءات السابقة ، يشغل الفنان كامل الفضاء بمقذوفات شكلية في فوضى مقصودة ، وازدحام لا يراد منه أي تنظيم ، بل مجرد جمع أشكال دالة تلح على خياله في مساحة واحدة : إنه نوع من يوم حساب جمالي !

يقدم الفنان في هذا المعرض تنويعات أسلوبية في البناء والتعامل مع الأشكال ، هي عنده قراءات بصرية لخبرات تأملية ، تقدم نفسها كاقتراحات مصاغة على

نحو تمتلك إمكانات التحول من نمط إلى آخر ، من نمط مفتوح إلى آخر مغلق ، من شكل أوربي الطابع لا يخلو من كآبة إلى شكل شرقي حيوي ، من مساحة مخيفة إلى أحياز متداخلة كما في حلم .

سهيل سامي نادر

الدنمارك

2018